قراءة في كتاب «التناص في الأمثال الشعبية الإماراتية»

للدكتور عبد الحكيم الزبيدي

د. شهاب غانم

صدر مؤخراً عن نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، كتاب «التناص في الأمثال الشعبية الإماراتية» للأديب الشاعر الإماراتي الدكتور عبد الحكيم الزُبيدي، وقد صدر في طبعة أنيقة في 324 صفحة من الحجم المتوسط. والتناص مصطلح نقدي حديث يقصد به وجود تشابه بين نص وآخر أو بين نصوص عدة.

يقول المؤلف في مقدمته إنه لاحظ خلال إعداده بحثاً عن الأمثال الشعبية الإماراتية منذ سنوات وجود تشابه بينها وبين الأمثال الشعبية في بعض البلدان العربية، خاصة دول الخليج واليمن، بل قد يصل ذلك التشابه إلى حد التطابق في بعض الأحيان مع بعض الأمثال في دولة عُمان التي تحاذي الإمارات، بالإضافة إلى أمثال في حضرموت البعيدة نسبياً أيضاً، التي تقع في جنوب الجزيرة العربية. وقد أشار المؤلف إلى كتابي عن الأمثال وعنوانه 1500 مثل إنجليزي وما يقابله في العربية من أمثال عربية فصيحة وشعبية، ومن آيات قرآنية وأحاديث شريفة وأبيات شعر فصيح في الحكمة أيضاً، وكان هو من حاورني حول ذلك الكتاب في معرض أبوظبي الدولي للكتاب منذ بضع سنوات.

وقد رتب المؤلف الأمثال حسب الحرف الأول من أول كلمة من المثل مع إهمال (أل) التعريف، وإذا كانت للمثل صيغ أخرى أوردها تحت ذلك المثل. وقد اعتمد في اختيار الأمثال على عدة كتب تناولت الأمثال الشعبية الإماراتية حسب صدور تلك الكتب، وأقدمها الكتب التالية:

- كتاب إبراهيم الصباغ «**الأمثال الشعبية في دولة الإمارات العربية وما يقابلها من الأمثال الدارجة في الوطن العربي**» الصادر عام 1978م.
- كتاب عبيد بن صندل «**الأمثال والألغاز الشعبية في دولة الإمارات**» الصادر عام 2004 م.
- كتاب محمد المر «**كلام الناس**».

وقد كتبَ المؤلف كلمات الأمثال كما هي في اللغة وليس حسب طريقة نطقها. وفي حالة وجود أكثر من مثل في قطر عربي معين مقابل للمثل الإماراتي يختار المثل المقابل الذي يراه الأقرب في ألفاظه للمثل الإماراتي؛ فمثلاً مقابل المثل الإماراتي «إذا غاب القطو العب يا فار» اختار المثل اليمني «إذا غاب الدِّم تقنبع الفار» ولم يستعمل المثل اليمني «إذا غاب الأسد ترندع الدرين». وكان عندما يجد أكثر من تفسير لمثل إماراتي يختار الشرح الأقرب إلى فهمه هو. فمثلاً فسر بعضهم المثل الإماراتي «من دقَّ الباب جاه جواب» بمعنى: من سعى نال، بينما فسره بعضهم بمعنى: من بدأ بالشر فسيأتيه الرد شراً، وهو التفسير الذي اختاره المؤلف.

والمؤلف يبدأ بشرح معنى المثل الإماراتي واستخدامه، وأحياناً يشير إلى تناص المثل مع حديث شريف أو بيت من شعر الحكمة ثم يأتي بالأمثال المقابلة له من عدة بلدان عربية مختلفة مثل السعودية والعراق وعمان واليمن. وفي بعض الأحيان كان يشير إلى المناطق أو المدن التي أتى منها المثل في بعض البلدان العربية الواسعة حسبما تيسرت له المعلومات مثل الحجاز وبغداد وحضرموت، وأما الأمثال من صنعاء وعدن وتعز وتهامة،... إلخ في اليمن، فقد اكتفى بوضعها تحت مسمى (أمثال يمنية) لأن مرجعه الرئيسي كان كتاب «الأمثال اليمانية» للعلامة إسماعيل الأكوع الذي لم يكن دائماً يحدد منطقة المثل.

وأخيراً فإن هذا الكتاب الذي يحوي نحو 300 مثلاً إماراتياً يعدّ إضافة قيّمة لكتب الأمثال الشعبية الإماراتية يشكر عليها المؤلف.